وفي نحو من نهاية عام ١٥٧٤ لوحظ عليه قلق جنسي جديد . كان قد مل زوجته أنا . وقد فسروا ملاله بسبب أنها عاقر رغم أننا لا نستطيع أن نرى الفائدة التي يمكن أن يجنيها إيڤان من قدوم المزيد من الأولاد . والأكثر احتمالا انه كان يعتبر عقم هذا الزواج دليلا على أن الله لم يكن راضيا عن زواجه بامرأة رابعة . وهكذا اتجه الى ليونيد مطران نوڤغورود الذي أجاز هذا الزواج وحمّله كل إثم لتجاوزه على قوانين الكنيسة التي تحرم الزواج من امرأة رابعة . ورغم الصداقة التي كانت تربطه بهذا الحبر المرتشي فإنه استدعاه أمامه وانتزع عنه ثيابه بيديه ووضعه في جلد دب وخاط عليه ثم رماه للكلاب لكي تمزقه حتى الموت .

حدث ذلك على ما يبدو في مطلع عام ١٥٧٥ . وغدت أنا مطلقة مقصوصة الجناح واستبدلت باعظم مجد يمكن أن تكلل به امرأة روسية تقشف زنزانة في دير . وغدا اسمها الأخت داريا . وكان عليها أن تعيش بعد ذلك واحدا وأربعين عاما قضتها كلها في ذلك الدير الذي أبعدت إليه . فماذا كانت آخر كلمات إيڤان لها عندما هجرها ؟ ، لا نعرف شيئا عن ذلك !. ولكننانستطيع أن نفترض انه افضى إليها بعزمه على الاحتذاء بها والتخلي عن العالم وعن العرش . ولا شك انه كان صادقا لأنه نفذ ذلك في العام التالي هاجراً عرشه كي يكون راهباً .ولكن كان في طبيعته ميل جنسي لا يقاوم هو سمة من سماته المسيطرة وعائق يعرقل كل قرار يتخذه ليكون راهباً . كان قد أصبح ــ كما رأينا ــ رئيس دير تصحبه خليلاته ، ولكن ذلك لم يكن كافياً لإرواء رغبته في ارتداء اللباس الأسود. وخلاصه من أنا كان بالنسبة له فرصة جديدة لنذر نفسه للعزوبة المقدسة . ولكن مقاومته للجنس كانت ضعيفة جداً فاتخذ في سريره فتاة أخرى من الشعب اسمها أنا فاسيلشيكوف كانوا يطلقون عليها غالبا لقب زوجته الخامسة على الرغم من أن هذا الزواج تم دون مباركة من الكنيسة. وقبل أن يتخذ أنا كان قد عاشر أرملة جميلة اسمها فاسيليسا ميلينتييف . فاذا اعتبرنا هاتين السيدتين الأخيرتين زوجتين له أمكننا